كلية: الآداب

القسم او الفرع: التاريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة: أ.م.د. أبو الهيجاء محمد رافع حمدان العاني

اسم المادة باللغة العربية: فلسفة التاريخ

اسم المادة باللغة الإنكليزية: Philosophy of History

اسم المحاضرة الثالثة عشرة باللغة العربية: **جامباتيستا فيكو ونظرية العصور التاريخية**

اسم المحاضرة الثالثة عشرة باللغة الانكليزية:

Giambattista Vico and the Theory of Historical Ages

محتوى المحاضرة الثالثة عشرة

يجب الإشارة في البداية إلى أن دراسة التاريخ قد جابت أرضا جديدة مع "فيكو" في كتابه "العلم الجديد"، الذي يبرز كأحد مؤسسي علم التاريخ.

كان "فيكو" يفرق بين "التاريخ المقدس" و"التاريخ الدنيوي"، فيعتبر أن الأول يختص بتاريخ اليهود والمسيحيين، والثاني يختص بتاريخ الأمم أو الوثنيين – بتعبيره - وقد هيا له الجزء الأكبر من مؤلفاته.

وقد اعتقد "فيكو" أن المجتمعات الإنسانية تمر بحلقات حضارية، على شكل دورات، وقسم "فيكو" على إثر هذه النظرية التاريخ إلى ثلاث مراحل "مرحلة الهمجية"، و"مرحلة البربرية"، و"مرحلة الحضارة".

وهكذا فالتاريخ في رأي "فيكو" يدور في حلقة لولبية صاعدة ومتجددة على الدوام، وهكذا تمر المجتمعات الإنسانية بمراحل معينة من التطور الذي ينتهي إلى الانحلال أو البربرية، لتبدأ من جديد مراحل أخرى أعلى درجة مما سبقتها، لينتهي هذا التطور مرة أخرى إلى الانحلال، وبذلك تتشابك الحلقات التاريخية، فالتقدم ليس قانونا في الطبيعة التاريخية، فما كسبه جيل يستطيع الجيل الذي يليه أن يفقده، ويستطيع فكر الناس أن يستن مناهج تقود إلى البلاء والبربرية، وعلى هذا الأساس فـ"فيكو" يرى أن المجتمع يمر بفترات متعاقبة من الازدهار الذي يعقبه الانتكاس وهكذا.

ولقد تأثر "فيكو" بالمصريين كثيرا فقد تبنى تصورهم القائل بوجود ثلاث أزمنة للعالم، ويعدهم تبعاً لذلك قد قدموا خدمة عظمى للتاريخ لأنهم يقسمون عهودهم إلى ثلاثة عهود وأدوار "دور الآلهة"، "دور الأبطال"، دور "البشر".

وعمم "فيكو" هذه الأدوار الثلاثة على جميع الأمم في جميع العصور، فكل أمة تنتقل في تاريخها من دور الآلهة إلى دور الأبطال، فدور البشر، وعندما تبلغ غايتها من الدور الأخير تعود مرة أخرى إلى دور الآلهة، وتبدأ كذلك دورة جديدة على شاكلة هذه الدائرة الأزلية الأبدية، في سير تذبذبي أو حلزوني، ومن ثم طبق "فيكو" هذه الآراء وهذا التقسيم على تاريخ اليونان والرومان والقرون الوسطى.

- عصر الآلهة: وتقابله الحكومة الإلهية: وهي المرحلة الأولى، وتسود فيها الخرافات والأوهام والخوف من الظواهر الطبيعية، والإيمان القوي بإرادة الآلهة وتحكمها المطلق في المصائر البشرية، وتكون طباع البشر والشعوب خلال هذه الفترة فضة وغليظة.

- عصر الأبطال: وتقابله الحكومة الأرستقراطية: تنتقل فيه السلطة من رجال الدين والكهنوت إلى رجال الحرب والسياسة ويظهر على أساسه نظام أرستقراطي يسود فيه الأغنياء السادة ويحتقر فيه العبيد والخدم، ويتحكم هؤلاء الأرستقراطيون خلال هذه المرحلة بقوتهم وجبروتهم على الفئات الشعبية المهضومة الحقوق، ويشكلون طبقة متميزة الحقوق والامتيازات داخل الدولة.

- عصر الإنسان: وتقابله الحكومة الإنسانية: يبدأ هذا العصر بوعي الناس واعترافهم أنهم متساوون في الحقوق والواجبات بالطبيعة، وخلال هذه الفترة يحصل الإنسان على حقوقه الكاملة كمواطن حر، وتظهر الديمقراطية وتنتشر المساواة والعدالة بين الناس وتسقط خلال هذا العصر الديكتاتورية والنظم الاستبدادية الظالمة وتحل محلها الديمقراطية. وهذا العصر كما يراه "فيكو" يتضمن بذور انهياره وفنائه، إذ أن الديمقراطية وإعلان المساواة بين أفراد الدولة لا تلبث أن تغري العامة بالتطرف في المطالبة بحقوقها والتمادي في ذلك إلى ابعد الحدود، وذلك يزيد من حدة الصراع والمنافسة بين طبقات المجتمع بدلا من أن يخفف منه، فينشا عن ذلك ضعف الروابط التقليدية بين الطبقات، وتكثر الفوضى والمشاكل وتزداد الفتن، فيكون الانحلال والفساد الذي يؤذن بانتهاء الدورة الحضارية كلها، فادا وصل المجتمع إلى مثل هذه الحالة من التدهور تعذر الإصلاح الداخلي، فلا يبقى إلا غزو من الخارج وانحلال من الداخل يعود بعده المجتمع إلى بربرية عامة، لتبدأ دورة حضارية جديدة أعلى من سابقتها متدرجة من العصر الآلهة إلي عصر الأبطال إلى عصر الإنسان، وهكذا دواليك تمضي الحياة الإنسانية في دورة دائمة. ولقد مرت جميع الشعوب القديمة بمراحل هذا التطور وهذه الصفة الدورية للتاريخ تحدثها الطبيعة الملازمة للإنسان.